أثر الكشاف للزمخشری فی جوامع الجامع للطبرسی

الدکتور سید علی میر لوحی

اکرم حبیبی

استاذ فی جامعة إصفهان ـ قسم اللغة العربیة

طالبة مجستر فی جامعة إصفهان ـ قسم اللغة العربیة

الملخص

إن تفسیر الکشاف للزمخشری هو من أتقن التفاسیر المعتنیة بموضوعات الإعراب والأدب واللغة بین الباحثین والمفسرین. فقد امتاز هذا التفسیر بدقته البلاغیة واضطلاع صاحبه بعلوم الأدب والإعراب.

بالنظر لقیمة هذا التفسیر، ألّفت کتب وتفاسیر عدیدة متأثرة به وبفصاحته، منها: تفسیر جوامع الجامع للعلامه أمین الإسلام الطبرسی، الذی یعتبر من أحسن وأکمل التفاسیر المختصرة بین الباحثین.

هذه الدراسة التی بین أیدیکم قد حاولت أن تبحث عن وجوه تأثر الطبرسی بالکشاف وفق أربعة مستویات أساسیة وهی الآراء الإعرابیة والبلاغیة والکلامیة واللغویة، وذلک

بهدف الكشف عن مدى تأثر أمين الإسلام بآراء الزمخشرى وتبيين الاختلافات الموجودة فى آراء هذين المفسرين الكبيرين فى تفسيريهما الكشاف وجوامع الجامع.

الكلمات الأساسية: الإعراب، البلاغة، التفسير، اللغة، المسائل الكلامية.

المقدمة

إن البحث عن تفسير القرآن وشرحه بدأ ينمو منذ عهد الرسول (ص) فقد عنى به المسلمون عناية كبيرة، حيث لم يألوا جهداً من أجل فهم القرآن وتفسيره، ونتج عن ذلك ظهور عدد غير قليل من العلماء والمفسرين الذين لا تزال أسماءهم وكتبهم تتصدر رفوف مكتبات عالمية.

نعم لقد استمرت هذه الجهود طوال القرون الماضية حتى يومنا هذا ولكننا إذا وقفنا أمام كفاءة هؤلاء المفسرين نرى التباين فيما بينهم لأن كل واحد من أولئک العلماء كان متبحراً فى فرع أو فروع خاصة من فنون الأدب والبلاغة والإعراب فلذا اتّخذت تفاسيرهم صبغة خاصة.

على هذا كان من الطبيعى أن يؤلّفوا كتبهم وتفاسيرهم معتمدين على تفاسير أُخرى كى يزيدوا آثارهم اعتباراً وقيمة.

ومن أهم هذه التفاسير التى لفتت أنظار الباحثين والمتخصصين إليها منذ زمن تأليفها هو تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للعلامة الزمخشرى. فقد اعتبره العلماء من أحسن وأتقن التفاسير الأدبية والبلاغية.

وعلى هذا كان لكثير ممن جاء بعده من العلماء والمفسرين نصيب من هذا التفسير وتأثّر به من حيث الأدب ولا سيما البلاغة. وكان للعلامة الطبرسى النصيب الأكبر من هذا التأثر

والتوجه فی تفسیره جوامع الجامع. فالعلامة فی هذا التفسیر جهد کل الجهد أن یورد ویقتبس من الکشاف ما یجده ذا نفع مما فاته فی تفسیره الکبیر مجمع البیان.

ونحن فی هذا المقال نسعی کشف النقاب عن وجوه هذا التأثر.

فنبدأ أولاً بذکر موجز عن حیاة کلا المفسرین ثم نتابعه بشرح منهج الزمخشری فی تفسیره الکشاف والطبرسی فی جوامع الجامع ثم نذکر نماذج مما اقتبس الطبرسی من الکشاف مستعیناً بآراء الطبرسی المذکورة فی تفسیره مجمع البیان ونبحث عن کیفیة هذا الاقتباس أیکون الاقتباس فارغاً من أی اجتهاد ونظر أم اقتباساً مع اجتهاد وإبداع رأی. وفی النهایة نذکر میزات جوامع الجامع بالنسبة إلی الکشاف.

علی أن هذا المقال لا یسع للمقارنة بین التفسیرین فی جمیع اجزاء القرآن فلذا اکتفینا بالجزء الثامن کنموذج لهذه المقارنة ونرجو أن یکون وافیاً بالمقصود إن شاء الله.

الزمخشری؛ حیاته

هو جار الله محمود بن عمر الزمخشری ولد فی شهر رجب سنة ٤٦٧ هـ. فی قریة صغیرة تسمی «زمخشر» من قری خوارزم.

فی سنة ٥٠٣ هـ رحل إلی مکة المکرمة وأقام فیها مجاوراً بیت الله الحرام ولذلک لقّب بـ«جار الله». ثم عاد إلی وطنه شیخاً کهلاً. وتوفی لیلة عرفة من سنة ٥٣٨ هـ. ودفن بـ«جرجانیة» خوارزم (الداوودی ٢: ٣١٥، الذهبی ١: ٢٧٩، ابن الجوزی ١٠: ١١٢).

انصرف الزمخشری إلی طلب العلم منذ شبابه ولقی أفاضل عصره حتی صار اماماً فی التفسیر، والنحو، واللغة، والادب، والحدیث، والبلاغة. أخذ العلم عن عدد من العلماء أشهرهم: محمود بن الضبی الأصفهانی، نصر بن أحمد بن عبدالله، محسن بن محمد بن کرامة و....(الغامدی ١: ٢٥ـ٢٦).

له تصانيف كثيرة فى موضوعات مختلفة، ذكر له ياقوت تسعة وأربعين كتاباً منها: «الكشاف» فى التفسير، «الفايق» فى غريب الحديث،«الأنموذج» و«المفصل» فى النحو، «المقامات»، «المستقصى» فى الأمثال، وغير ذلك.

إذا استعرضنا مؤلفاته نجد أنه قد غلب عليه النحو والبلاغة واللغة والادب والامثال والمواعظ مع مصنف واحد فى كل من التفسير والحديث والفرائض والفقه والاصول.

أما تفسيره الكشاف فهو تفسير قيّم قلّ نظيره فى الكشف عن جمال القرآن،يجهد الزمخشرى فى هذا تفسير كل الجهد ليبيّن ما فى القرآن من الصور البلاغية وذلك لأن لها أثراً كبيراً فى تعجيز الآخرين عن معارضته والإتيان بسورة قصيرة مثله، فلهذا قد غلب عليه الطابع الأدبى والنحوى والبلاغى وسائر علوم اللغة.

منهج الزمخشرى فى الكشاف

كان منهجه أن يبدأ باسم السورة، وعدد آياتها ومكيها ومدنيها، وبيان معناها، وذكر اسمائها ان روى لها اسماء اخرى، مع الاشارة إلى فضلها، ثم يدخل فى قراءتها ولغتها ونحوها وصرفها واشتقاقها وغيرها من العلوم العربية، ثم يشرع فى الشرح والبيان والتفسير ونقل الأقوال والاحتجاج، والرد على من خالفه. ويستخدم أسلوب المناقشة فى كشف المعانى للآيات ويبنى مناقشته على طريقة افتراض السؤال والجواب عنه.

ويفيض فى بيان القراءات ووجوهها واختلاف معانى الاسلوب القرآنى نتيجة لها، ولا ينسى فى تفسيره ثقافته النحوية التى كان اماماً فيها، فيكثر من بيان الإعراب ووجوه النحو ويفيض فى هذا المضمار، ويكثر الاستشهاد ببلاغة القرآن الكريم بشعر المحدثين وكلامهم.

ويتحدث عن موسيقى اللفظ، ويتعرض للموازنة اللغوية بين لفظة وأخرى، ويشير إلى ما توحى به اللفظة من تأثير وهزة، ويتعرض للنقد اللغوى للكلمة، ويذكر ما جرى فيها من

الاتساع، وغير ذلک من وجوه الاتجاهات اللغوية للمفردات(آية الله زاده الشيرازی ۳۱۰، الغامدی ۱: ۴۷)

فعلی هذا يعتبر تفسيره الكشاف تفسيراً شاملاً لجميع سور القرآن الكريم وقد تأثر كثير من المفسرين بدقته البلاغية وفصاحته وبيان اعجاز القرآن فی ذلک.

اعتزال الزمخشری

كان الزمخشری معتزلی الاعتقاد متظاهراً به حتّی نقل عنه «أنّه كان يسمی نفسه بأبی القاسم المعتزلی أحياناً» (البستانی ۹: ۲۴۷).

فعلی هذا كان من الطبيعی أن يكون منهجه فی تأويله للآيات تأويلاً يوافق مذهب الاعتزال، فإنه فسر القرآن فی ضوء أصول هذا المذهب[1] فإن تعارضت تلک الأصول بظاهر القرآن فإنه يتأول الآيات حتی تتفق مع مذهبه ونحن فيما يلی نذكر بعض ما يفسره فی ضوء هذا المذهب:

۱ـ يقول عند تفسيره لقوله تعالی: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً...﴾ (الأنعام ٦: ۱۲۵)

«فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ يلطف به حتی يرغب فی الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ أن يخذله ويخليه وشأنه، وهو الذی لا لطف له يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً يمنعه ألطافه، حتی يقسو قلبه، وينبو عن قبول الحق وينسدّ فلا يدخله الإيمان» (الزمخشری ۲: ٦٤).

۱. هذه الأصول خمسة وهی: ۱- التوحيد ۲- العدل ۳- الوعد والوعيد ٤- المنزلة بين المنزلتين ٥- الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر (بدوی ۱: ۵۵)

فكما نرى عند الزمخشرى هذه الآية تدل على الدليل القاطع العقلى على أن العبد قادر على الايمان وقادر على الكفر، فقدرته بالنسبة إلى هذين الأمرين حاصلة على السوية (لمزيد من الاطّلاع راجع: الذهبى ۱: ۲۹٦).

۲ـ يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿...يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمانِها خَيْراً...﴾ (الأنعام ٦: ۱۵۸)

«والمعنى أنّ أشراط الساعة إذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرّة، ذهب أوان التكليف عندها، فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدّمة إيمانها من قبل ظهور الآيات، أو مقدّمة الإيمان غير كاسبة فى إيمانها خيراً، فلم يفرّق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت فى غير وقت الإيمان، وبين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيراً، ليعلم أنَّ قوله **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ** جمع بين قرينتين، لا ينبغى أن تنفك إحداهما عن الأخرى، حتى يفوز صاحبهما ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك» (الزمخشرى ۲: ۸۲).

إن الزمخشرى يمسك بهذه الآية ويستدل بها على صحة عقيدته فى أن الكافر والعاصى سواء فى الخلود فى النار.

۳ـ يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف ۷: ۲۸)

«أى: إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأنّ اللّه تعالى أمرهم بأن يفعلوها. وكلاهما باطل من العذر[...] لأنّ فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعى ووجود الصارف...» (۲: ۹۹).

وهذا من الاعتزال الخفى، وغرضه أن يمهد قاعدة التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح والأصلح (لمزيد من الاطّلاع راجع: الغامدى ۱: ٤٧۱).

الطبرسی؛ حیاته

هو أمین الدین الفضل بن الفضل الطبرسی من أعلام القرن السادس الهجری. قیل: أصله من طبرستان، ردّ صاحب کتاب «طبرسی ومجمع البیان» هذا القول ویقول: «ولد بین ٤٦٨ ــ ٤٦٩ هجریة فی طبرس أو تفرش وتفرش مدینة تتوسط بین قاشان (کاشان) واصفهان ولا ترتبط بطبرستان کما یقول المتأخرون لأن هذا المکان منسوب إلی طبرس وهی تفرش المعروفة من توابع قم» (کریمان ۱: ١٦٧).

کان الطبرسی من نحاریر علماء الشیعة الإمامیة فی تفسیر القرآن الکریم وغیره من العلوم الاسلامیة، نسب إلی بیت من بیوت العلم أکثر أهله من ذوی المکانة العلمیة. قد عاش فی خراسان، وتوفی سنة ٥٦١ هـ فی سبزوار (الزرکلی ٥: ٣٥٤؛ الخوانساری ٥: ٣٤٣؛ الأمین ٢: ٣٨٦؛ أیازی ٦٠٩)

تتلمذ لدی مشایخ عصره منهم: الشیخ أبو علی ابن شیخ الطائفة الطوسی، والشیخ أبو الوفاء الرازی، والسید أبو طالب الجرجانی، والسید أبو الحمد مهدی بن نزار الحسینی القاینی، الحاکم أبو القاسم عبیدالله بن عبدالله الحسکانی، وغیرهم (معرفة ٢: ٣٨٢).

له تصانیف عدیدة منها: مجمع البیان، الکاف الشاف من الکشاف،جوامع الجامع[1]، النور المبین، إعلام الوری بأعلام الهدی، الآداب الدینیة للخزانة المعینیة، کنوز النجاح، حقائق الامور،نثر اللالی و...أیضاً نسب إلیه کتاب أسرار الأئمة ولکن صاحب أمل الآمل (الحر العاملی ٢٢٨) ردّ هذا الانتساب.

---

١. یسمّیه بعض الباحثین-العلامة المجلسی فی مقدمة البحار (١: ٦) وافندی فی ریاض العلماء- «جامع الجوامع»، فهذا لیس بصحیح لأن الشیخ نفسه سمّاه «جوامع الجامع» حیث یقول: «أسمیّه «جوامع الجامع» ولا شکّ انه اسم وفق للمسمّی ولفظ طبق المعنی»(انظر: مقدمة تفسیر جوامع الجامع).

كان العلامة متبحراً فى كثير من علوم عصره خاصة فى علم النحو والتفسير وكتابه مجمع البيان يؤيد هذا الأمر فهذا التفسير هو أول تفسير يشرح ويدرس البحوث النحوية بصورة دقيقة. يصف فاضل نورى هذا التفسير فى كتابه مستدرک الوسايل قائلاً:«الذى عكف عليه المفسرون» (٤٨٦).

منهج الطبرسى فى مجمع البيان

بما أن تفسيره جوامع الجامع مبنى على تفسيره الكبير مجمع البيان لذلک يكون من الواجب التعريف بمجمع البيان أولاً كى يمكن البحث عن منهجه فى جوامع الجامع. أما منهجه فى هذا التفسير فهو منهج رتيب، ذكر فى مطلع كل سورة مكيّها ومدنيّها، ثم ذكر الاختلاف فى عدد آياتها، ثم ذكر فضل تلاوتها. ثم قدم فى كل آية الاختلاف فى القراءات، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات، ثم ذكر الإعراب والمشكلات، ثم الأسباب والنزولات، ثم أشار إلى المعانى والأحكام والتأويلات، والقصص والجهات، إنه لم ينسب كل الشواهد إلى قائلها بل نسب ما يقارب عشرين بالمائة منها إليهم وأحياناً نراه ينسب الشاهد إلى غير قائله.

أما بالنسبة إلى الشواهد النحوية فقد اعتمد الطبرسى على كتب نحوية وإعرابية منها: كتاب سيبويه وكتاب معانى القرآن وإعرابه للزجاج، والمقتضب للمبرد والخصائص لابن جنّى و....

نقل كثيراً عن كتاب «التبيان» للشيخ الطوسى، بل تأثر به كثيراً حتى عبّر عنه بـ«قدوة استضىء بأنواره، وأطأ مواقع آثاره». (كريمان ۲: ۳٦).

فأنه يُولى مسألة تناسب الآيات فى السور عناية خاصة، فهو كثيراً ما يذكر ارتباط الآية أو الآيات بما قبلها فعند الشروع فى بيان معنى الآية أو الآيات يذكر وجه ارتباطها بما قبلها.

لا يقتصر الطبرسی فی ذكر آراء المفسرين علی ذكر الأقوال التفسيرية المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، بل ضم إلی ذلک الأقوال التفسيرية التی نسبت إلی غيرهم. وهو بهذا يختلف عن بقية المفسرين من غير الشيعة الذين لا يذكرون عادة ما نُسب إلی أئمة أهل البيت عليهم السلام إلاّ نادرا ففی قوله تعالی: ﴿... وآتوا حقه يوم حصاده...﴾ (الأنعام ۷: ۱٤۱) ذكر قولين نسب القول الثانی إلی الامام الصادق ـ عليه السلام ـ عن آبائه الطاهرين كما نسبه إلی غيرهم، ونسب القول الأول إلی من نسبه وهم: ابن عباس وزيد بن أسلم، والحسن البصری، وسعيد بن المسيب، وقتادة، والضحاک، وطاوس اليمانی، ومحمد بن الحنفية.

يتعرض كثيراً لبيان الأحكام الشرعية التی تتضمنها الآيات المفسرة بشكل موجز فهو عند تفسيره آيات الأحكام يذكر الحكم الشرعی الذی تحكيه الآية، ويحاول قدر جهده بيان مختلف الأقوال فی المسألة مع بيان مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وكثيراً ما يشير إلی هذه المسائل دون الاغراق فی الأدلة والردود[1].

ولا ينسی ذكر أسباب النزول، ولا ذكر بعض قصص الأنبياء بشكل موجز، كذلک لا ينسی ذكر بعض الوقائع كغزوة بدر وغيرها.

منهج الطبرسی فی جوامع الجامع

شرع الطبرسی فی هذا التفسير بعد إنجاز تفسيريه «مجمع البيان» و«الكافی الشافی»، فی (۱۸ـ صفر ـ٥٤٢) وفرغ منه (٢٤ـ المحرم ـ٥٤٣) (الطهرانی ٥: ٢٤٨).

---

۱. راجع: الايروانی، مرتضی. «مذاهب التفسير واتجاهاتها» *رسالة التقريب* ۱۲. (۱٤۱۷ ق) ٥۳- ٦۹. ۱٦ ربيع‌الثانی ۱٤۳۰ ق.

والباعث الذى دعاه إلى تأليف جوامع الجامع فهو أولاً اقتراح ولده ـ أبو نصر الحسن ـ حيث طلب منه أن يؤلف تفسيراً يكون واسطة بين مجمع البيان والكافى الشافى، ثانياً حبه للاستمداد من كلام الزمخشرى ولطائفه.

أما منهجه فيه بما أن أساس هذا التفسير هو تفسير الكشاف لذلك نرى أن المؤلف احتذى حذو الزمخشرى فى تأليفه، فإنه يشرع فى بيان اسم السورة مكّيها ومدنيها ومعناها وعددها، آياتها وفضلها، ثم يذكر قراءتها ولغتها ونحوها وصرفها واشتقاقها، وغيرها من علوم العربية، ثم يدخل فى الشرح والتفسير ونقل الأقوال من دون التقسيم والتنظيم، فهذا كله يدل على أن طريقته نفس طريقة صاحب الكشاف وهى أن يذكر عدداً من الآيات ثم يفسر قسماً منها ثم يفسر بعد ذلك القسم الآخر منها ولم يتعرض لآيات الأحكام التى لها ترتبط بالفقه إلّا موجزاً، فيذكرها وفق مذهب الإمامية.

تأثر الطبرسى بآراء الزمخشرى

من يلقى النظر إلى جوامع الجامع يظهر له أن الطبرسى كان فيه كثير النقل عن الكشاف للزمخشرى، خاصة فى بحث الإعراب وهذا يدل على أنه كان معجباً به وبتفسيره إلى حد كبير ونحن نذكر فيما يلى بعض نماذج مما يبرهن على ذلك.

الف ـ تأثره اللغوى

من أبرز وجوه تأثر الطبرسى بالكشاف هو تأثره اللغوى والأدبى؛ منها:

١ـ يقول الزمخشرى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِىَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ﴾(الأنعام ٦: ١٢٤)

یقول: «اللَّهُ أَعْلَمُ کلام مستأنف للإنکار علیهم، وأن لا یصطفی للنبوّة إلا من علم أنه یصلح لها وهو أعلم بالمکان الذی یضعها فیه منهم سَیُصِیبُ الَّذِینَ أَجْرَمُوا من أکابرها صَغارٌ وقماءة بعد کبرهم وعظمتهم وَعَذابٌ شَدِیدٌ فی الدارین من الأسر والقتل وعذاب النار.» (۲: ٦۳۰).

یستفید الطبرسی من کلام الزمخشری لغویاً ویقول: «اللَّهُ أَعْلَمُ کلام مستأنف للإنکار علیهم أی إنّ اللّه لا یصطفی للرّسالة إلّا من علم أنّه صالح لها وهو أعلم بموضعها سَیُصِیبُ أکابر الَّذِینَ أَجْرَمُوا «صَغارٌ» وقمأة بعد کبرهم وعظمهم وَعَذابٌ شَدِیدٌ فی الدّارین» (جوامع الجامع ۱: ٤۰۸).

۲ـ یقول الزمخشری عند تفسیره لقوله تعالی: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَیْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَیْنِ قُلْ آلذَّکَرَیْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَیَیْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَیْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَیَیْنِ أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاکُمُ اللَّهُ بِهذا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً لِیُضِلَّ النَّاسَ بِغَیْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ﴾ (الأنعام ٦: ۱٤٤)

یقول: «حَمُولَةً وَفَرْشاً عطف علی جنات. أی: وأنشأ من الأنعام ما یحمل الأثقال وما یفرش للذبح، أو ینسج من وبره وصوفه وشعره الفرش. وقیل: "الحمولة" الکبار التی تصلح للحمل، "والفرش" الصغار کالفصلان[۱] والعجاجیل[۲] والغنم، لأنها دانیة من الأرض للطافة أجرامها، مثل الفرش المفروش علیها وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّیْطانِ فی التحلیل والتحریم من عند أنفسکم کما فعل أهل الجاهلیة. ثَمانِیَةَ أَزْواجٍ بدل من حمولة وفرشاً اثْنَیْنِ زوجین اثنین، یرید الذکر والأنثی، کالجمل والناقة، والثور والبقرة، والکبش والنعجة، والتیس والعنز ـ

۱. الفُصْلان: ج الفصیل، ولد الناقة إذا فصل عن أمه قال سیبویه: وقالوا فِصْلان شبهوه بغُراب وغِربان (ابن‌منظور ۱۰: ۲۷۳)

۲. العجاجیل: ج العِجَّول، ولد البقرة (السابق ۹: ٦٦)

والواحد إذا كان وحده فهو فرد، فإذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجاً، وهما زوجان، بدليل قوله: خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى» (۲: ۷۱)

فقد نقل الطبرسى النص نفسه فى جوامع الجامع (۱: ٤۱۹) بشيء من التصرف والتغيير حيث يقول: «عطف «حَمُولَةً وَفَرْشاً على جَنَّاتٍ أى وأنشأ مِنَ الْأَنْعامِ ما تحمل عليه الأثقال وما يفرش للذّبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل: الحمولة الكبار الّتى تصلح للحمل، والفرش الصّغار لدنوّها من الأرض فهى كالفرش المفروش عليها» ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ بدل من حَمُولَةً وَفَرْشاً. اثْنَيْنِ أى زوجين اثنين يريد الذّكر والأنثى كالكبش والنّعجة والتّيس والعنز والجمل والنّاقة والثّور والبقرة فإنّ الواحد يسمّى فردا إذا كان وحده وإذا كان معه غيره من جنسه فهما زوجان، يدلّ عليه قوله: خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى».

ب ـ تأثره الإعرابى

قد تأثر الطبرسى بآراء الزمخشرى الإعرابية وفيما يلى نماذج منه:

۱ـ يقول الطبرسى فى مجمع البيان (۲: ۳٥٤) وجهين حول إعراب صِدْقاً وَعَدْلاً فى هذه الآية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنعام ٦: ۱۱٥)

يقول: «صِدْقاً وَعَدْلاً نصب على التمييز. وقيل: إنهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقة وعادلة عن أبى على الفارسى» لكنه فى جوامع الجامع (۱: ٤۰٥) فضّل رأى الزمخشرى (۲: ٦۰) فى انتصاب هاتين الكلمتين واكتفى بأن صِدْقاً وَعَدْلاً منصوب على الحال.

۲ـ يقول فى مجمع البيان (۲: ۳٦٤) حول إعراب مُسْتَقِيماً فى هذه الآية: ﴿وَهَـٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنعام ٦: ۱۲٦)

إنه انتصب علی الحال، وهو لم یشر فی هذا التفسیر إلی نوع الحال لکنه فی جوامع الجامع (۱: ٤۰۹) ذهب إلی ما قاله الزمخشری (۲: ٦٤) ویقول: «إنه حال مؤکدة نحو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾.

۳ـ یورد الطبرسی فی تفسیره مجمع البیان (۲: ۳۱۹) ثلاثة وجوه فی نصب دیناً فی هذه الآیة: ﴿قُلْ إِنَّنِی هَدَانِی رَبِّیٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام ٦: ١٦١)

یقول: «قال أبو علی:«یحتمل نصبه ثلاثة أضرب: أحدهماـأنه لما قال هَدَانِی رَبِّیٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ استغنی بجری ذکر الفعل عن ذکره. فقال دینا قیما کما قال اهدنا الصراط المستقیم ثانیاـوان شئت نصبته علی اعرفوا لأن هدایتهم إلیه تعریف لهم فحمله علی اعرفوا دینا قیما وإن شئت حملته علی الاتباع کأنه قال اتبعوا دیناً قیماً والزموه کما قال اتبعوا ما أنزل إلیکم».

الکلام للطبرسی هذا یدل بوضوح أنه لا یخالف قول أبی علی، لکنه فی جوامع الجامع فضّل رأی الزمخشری (۲: ۸۳) ویقول: «دِينًا بدل من موضع قوله إِلَىٰ صِرَاطٍ فإنّ المعنی: هدانی صراطاً» (۱: ٤۲۳).

٤ـ یقول فی مجمع البیان (۲: ۳۷۲) حول إعراب ٱفْتِرَاءً فی هذه الآیة: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَآ إِلاَّ مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لاَّ يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام ٦: ۱۳۸)

یقول: «ٱفْتِرَاءً منصوب بقوله: لاَّ يَذْكُرُونَ. وهو مفعول له ویجوز أن یکون لاَّ يَذْكُرُونَ بمعنی یفترون فکأنه قال: یفترون افتراء».

لکنه فی جوامع الجامع (۱: ٤۱۳) قد نقل وجهاً ثالثاً عن الزمخشری وهو أن ٱفْتِرَاءً منصوب علی الحالیة وهذا ما نص علیه الزمخشری فی الکشاف (۲: ۷۱).

٥ـ يقول الطبرسى فى مجمع البيان (٢: ٤٤٤) وجهاً حول إعراب شَهْوَةً فى هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (الأعراف ٧: ٨١)

يقول: «شَهْوَةً مصدر وضع موضع الحال» وهو قد اكتفى بهذا الوجه، لكنه فى جوامع الجامع (١: ٤٤٩) زاد عليه وجهاً آخر وهو ما نص عليه الزمخشرى فى الكشاف (٢: ١٢٥) حيث يقول: «شَهْوَةً مفعول له، أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرّد الشهوة من غير داع آخر، ولا ذم أعظم منه، لأنه وصف لهم بالبهيمية، أنه لا داعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة».

ج ـ تأثره بالزمخشرى فى المسائل البلاغية

قد احتذى الطبرسى فى جوامع الجامع حول المسائل البلاغية حذو الزمخشرى فى الكشاف وفيما يلى نشير إلى نماذج منها:

١ـ أكثر أساليب الاستفهام فى الكتاب العزيز جاءت لغير المعنى الحقيقى له فالاستفهام قد يفيد معنى التوبيخ والتقريع كما فى قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف ٧: ٦)

يقول الزمخشرى (٢: ٨٩): «فإن قلت: فإذا كان عالماً بذلک وكان يقصه عليهم، فما معنى سؤالهم؟ قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم».

فهذا ما يشير إليه الطبرسى فى جوامع الجامع (١: ٤٢٨) حيث يقول: «وأمّا المعنىّ فى سؤالهم مع علمه بأحوالهم فالتّوبيخ والتّقرير عليهم وازدياد سرور المثابين بالثّناء عليهم وغمّ المعاقبين بإظهار قبائحهم».

٢ـ قد أشار الزمخشرى فى مواطن كثيرة إلى طريقة الاستطراد منها قوله تعالى: ﴿يا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباسُ التَّقْوى ذلِکَ خَيْرٌ ذلِکَ مِنْ آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف ٧: ٢٦)

یقول: «هذه الآیة واردة علی سبیل الاستطراد عقیب ذکر بدو السوءات وخصف الورق علیها، إظهاراً للمنة فیما خلق من اللباس، ولما فی العری وکشف العورة من المهانة والفضیحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظیم من أبواب التقوی» (۲: ۹۸).

وهذا رأی الطبرسی فی جوامع الجامع (۱: ٤۳۳) حیث یقول: «هذه الآیة واردة علی سبیل الاستطراد عقیب ذکر بدوّ السّوآت إظهارا لنعمته فیما خلق من اللّباس».

۳ـ صیغ الأمر فی القرآن کانت موضع عنایة کثیر من المفسرین والفقهاء وذلک لاهتمامهم ببیان ما یراد بها فی أمور الدین من ناحیة الوجوب والندب والاباحة. من المعانی البلاغیة التی یشیر إلیها الزمخشری فی صیغة الأمر الاستعجال یقول فی تفسیر هذه الآیة: ﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ ما کانَ یَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ﴾(الأعراف ۷: ۷۰)

یقول:«فَأْتِنا بِما تَعِدُنا استعجال منهم للعذاب» (۲: ۱۱۸)

تأثر الطبرسی بکلام الزمخشری ونقل هذا الرأی عنه فی جوامع الجامع (۱: ٤٤٦).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

د ـ تأثره بمذهب الزمخشری الکلامی

أورد فی تفسیره جوامع الجامع ما یثبت أنه وافق الزمخشری فی مذهبه الاعتزالی ونحن فیما یلی نورد نماذج منه:

۱ـ یقول الطبرسی فی جوامع الجامع (۱: ٤۱۹) عند تفسیره لقوله تعالی: ﴿سَیَقُولُ الَّذِینَ أَشْرَکُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَکْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَیْءٍ کَذلِکَ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّی ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَکُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام ٦: ۱٤۸)

یقول: «هذا إخبار بما سوف یقولونه، ثمّ لمّا قالوه قال: وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ زعموا أنّ شرکهم وشرک آبائهم وتحریمهم ما حرّموه بمشیئة اللّه ـ تعالی ـ وإرادته ولو لا

أنّه شاء ذلک لم يكن شيء منه وهذا مذهب المجبّرة بعينه كَـذٰلِکَ جـاء الَّـذِينَ مِـنْ قَـبْلِهِمْ بالتّكذيب المطلق لأنّ اللّه ـ سبحانه ـ ركّب فی العقول ما دلّ علی علمه بالقبائح وبغناه عنها وبراءته عن مشيئة القبائح وإرادتها، وأخبر أنبياءه بذلک، فمن علّق وجود الكفر بمشيئته فقد كذّب التّكذيب كلّه وهو تكذيب اللّه وكتبه ورسله، ونبذ أدلّة العقل والسّمع وراء ظهره كَذٰلِکَ أی مثل ذلک التّكذيب الّذی صدر من هؤلاء كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّٰى ذاقُوا بَأْسَـنا حتّـى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ من أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به فيمـا قلتم فَتُخْرِجُوهُ لَنا وهذا من التّهكم والشّهادة بأنّ مثل قـولهم محـال أن يكـون لـه حجّـة إِنْ تَتَّبِعُونَ أی ما تتّبعون فی قولكم هذا إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ تقدّرون أنّ الأمـر كمـا تزعمون، أو تكذبون قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ أی فإن كان الأمر كما زعمتم أنّ مـا أنـتم عليـه بمشيئة اللّه فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ عليكم علی قود مذهبكم فإنّـه يقتـضی أن تعلّقـوا ديـن مـن يخالفكم ـ أيضاـ بمشيئة اللّه فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ منكم ومن مخالفيكم فی الدّين فينبغی أن توالوهم ولا تعادوهم لأنّ المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وما هم عليه».

فتلاحظون أن الطبرسی فی تفسير هذه الآية يردّ علی المجبرة ويستدل بنص الآية علـی بطلان ما ذهبوا إليه من نسبة كل فعل إلی إرادته تعالی ويعتقد بأن الانسان مختار فی عملـه كما يعتقد المعتزلة ونراه يتبع الزمخشری فی تفسير هذه الآية والقول باختيـار الانـسان فـی أعماله والآن بين أيديكم قول الزمخشری وتفسيره للآية:

يقول: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إخبار بما سوف يقولونـه، ولمـا قـالوه قـال وَقـالَ الَّـذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللّٰهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ يعنون بكفرهم وتمردهم. أن شركهم وشـرک آبائهم، وتحريمهم ما أحل اللّه، بمشيئة اللّه وإرادته. ولو لا مشيئته لم يكن شيء مـن ذلـک، كمذهب المجبرة بعينه كَذٰلِکَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أی جاءوا بالتكذيب المطلـق، لأنّ اللّـه عزّ وجلّ ركب فی العقول وأنزل فی الكتب ما دل علـی غنـاه وبراءتـه مـن مـشيئة القبـائح وإرادتها، والرسل أخبروا بذلک. فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصـی بمـشيئة اللّـه

وإرادته فقد كذب التكذيب كله، وهو تكذيب اللّه وكتبه ورسله، ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فَتُخْرِجُوهُ لَنا وهذا من التهكم، والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ فی قولكم هذا وإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ تقدّرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون. وقرئ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بالتخفيف قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ يعنى فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة اللّه فللّه الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ منكم ومن مخالفيكم فی الدين، فإن تعليقكم دينكم بمشيئة اللّه يقتضى أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضاً بمشيئته، فتوالوهم ولا تعادوهم، وتوافقوهم ولا تخالفوهم، لأنّ المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه» (۲: ۷۷).

۲ـ أيضاً يقول الطبرسی فی جوامع الجامع (۱: ٤۰۸) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً...﴾ (الأنعام ٦: ۱۲٥)

يقول: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ أی يلطف به ويوفّقه، ولا يفعل ذلك إلّا بمن يعلم أنّ له لطفا، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ بأن يثبّت عزمه عليه ويقوّی دواعيه على التّمسّك به لطفا له بذلك ومنّا عليه حتّى يحبّ الدّخول فيه وتسكن نفسه إليه وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ أی يخذله ويخلّيه وشأنه وهو الّذی لا لطف له يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً بأن يمنعه ألطافه حتّى يقسو قلبه وينبو من قبول الحقّ وينسدّ فلا يدخله الإيمان وقرئ حَرَجاً بفتح الرّاء وكسرها فالفتح على الوصف بالمصدر كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ أی يتصعّد فی السّماء أی كأنّما يزاول أمرا غير ممكن لأنّ صعود السّماء مثل فيما يبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة. وقرئ: «يصّاعد» أی يتصاعد كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ أی الخذلان ومنع التّوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التّوفيق من الطّيب، أو أراد الفعل الّذی يؤدّی إلى الرّجس وهو العذاب».

فكما تلاحظون الطبرسى فى تفسير هذه الآية أيضاً يردّ على المجبرة ويستدل بنص الآية على بطلان قولهم إن العبد مجبور على فعله وليس له اختيار فى ذلك. فإنه يعتقد بأن العبد قادر على الايمان وقادر على الكفر فنراه يتبع الزمخشرى فى تفسير هذه الآية؛ ونورد الآن نص الزمخشرى فى تفسيره للآية:

«فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ يلطف به حتى يرغب فى الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ أن يخذله ويخليه وشأنه، وهو الذى لا لطف له يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً يمنعه ألطافه، حتى يقسو قلبه، وينبو عن قبول الحق وينسدّ فلا يدخله الإيمان.[...] كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ يعنى الخذلان ومنع التوفيق، وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب. أو أراد الفعل المؤدّى إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب» (٢: ٦٤).

فمن ينظر إلى هذه النصوص يتضح له أن الطبرسى قد تأثر فيها بآراء الزمخشرى الكلامية.

ميزات جوامع الجامع بالنسبة إلى الكشاف

لا يقف الطبرسى عند الكشاف وقوف من يجمد عند النصوص بل نجده انساناً حراً يتصرف فيما يقتبس، فإن وجد فساداً أصلحه، وأن راى نقصاً تداركه فأتمه وأكمله. ففيما يلى نذكر بعض هذه الميزات:

الف ـ نقل روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام فى جوامع الجامع

يستفيد العلامة فى تفسيره الكبير مجمع البيان والوسيط جوامع الجامع من أحاديث أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وفيما يلى نماذج منه:

۱. أورد ذيل هذه الآية فی جوامع الجامع (۱: ٤٣٣) ومجمع البيان (٤: ٥٩٠): ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام ٦: ١٥١)

أورد رواية عن الإمام الباقر ـ عليه السّلام ـ يقول: «وعن الباقر ـ عليه السّلام ـ ما ظَهَرَ هو الزّنا وَما بَطَنَ هو المخالّة».

۲. أورد ذيل هذه الآية فی جوامع الجامع (۱: ٤٣٣) ومجمع البيان (٤: ٦٣٩): ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف ۷: ۳۱)

أورد رواية حول خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ عن الإمام الحسين بن علیّ ـ عليهم السّلام ـ قائلاً: «إن الحسين بن علیّ ـ عليهم السّلام ـ كان إذا قام إلى الصّلاة لبس أجود ثيابه، فقيل له فی ذلک، فقال: إنّ اللّه جميل يحبّ الجمال فأتجمّل لربّی وقرأ الآية».

۳. أورد ذيل هذه الآية فی جوامع الجامع (۱: ٤٣٩): ﴿وَبَيْنَهُما حِجابٌ وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ وَنادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الأعراف ۷: ٤٦)

رواية عن الصّادق ـ عليه السلام ـ قائلاً: «[قال] الصّادق ـ عليه‌السلام ـ الأعراف: كثبان[1] بين الجنّة والنّار يوقف عليها كلّ نبیّ وكلّ خليفة نبیّ مع المذنبين من أهل زمانه ـ كما يقف صاحب الجيش مع الضّعفاء من جنده ـ وقد سيق المحسنون إلى الجنّة، فيقول ذلک الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنّة، فيسلّم عليهم

۱. جمع كثيب وهو تلّ من الرّمل

المذنبون، وذلک قوله: سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ أن يدخلهم اللّه إيّاها بشفاعة النّبيّ والإمام، وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النّار فيقولون: رَبَّنا لا تَجْعَلْنا إلى آخره».

ب ـ التزامه فی جوامع الجامع بإعراب نص الآيات فی مجمع البيان

يدل كلام الطبرسی فی جوامع الجامع على التزامه فيه بما أثبته فی مجمع البيان حول إعراب بعض الآيات على الرغم من تأثره بالزمخشری فی هذا المجال وفيما يلی نماذج منه:

١. يقول الطبرسی فی مجمع البيان (٢: ٣٥٥) وأيضاً فی جوامع الجامع (١: ٤٠٥) حول إعراب من يَضِلُّ فی هذه الآية:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام ٦: ١١٧)

يقول: «من يَضِلُّ يجوز أن يكون استفهاماً فيكون تعليقاً؛ ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر يدلُّ عليه قوله: أعلم». وهذا ما لم يذكره الزمخشری فی الكشاف فإنه قد اكتفی بذكر القرآءة والمعنى لهذه الآية.

٢. يقول الطبرسی فی مجمع البيان (٢: ٤٢٧) وأيضاً فی جوامع الجامع (١: ٤٤١) حول إعراب حَثِيثاً فی هذه الآية:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِی اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ (الأعراف ٧: ٥٤)

يقول: «حَثِيثاً حال من الفاعل أو المفعول أو منهما جميعاً؛ ومثله تَحمِلُهُ فی قوله: فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُه[1]. وهذا الإعراب لم يشر إليه الزمخشری فی تفسيره.

١. مريم ١٩: ٢٧

ج ـ نقل آراء الزمخشری فی مختلف المجالات بالمعنی:

نحن نری فی بعض الأحیان ینقل الطبرسی قول الزمخشری بالمعنی منه، ما نقل عن الزمخشری فی جوامع الجامع (۱: ٤٣٣) ذیل هذه الآیة:

﴿یٰبَنِیٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَیْکُمْ لِبَاساً یُوَارِی سَوْءَاتِکُمْ وَرِیشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَیٰ ذٰلِکَ خَیْرٌ ذٰلِکَ مِنْ آیَاتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ﴾ (الأعراف ۷: ۲٦)

یقول: «وَلِباسُ التَّقْوی وهو الورع والخشیة من اللّه، وهو مبتدأ وخبره الجملة الّتی هی ذٰلِکَ خَیْرٌ، کأنّه قیل: «هو خیر»، لأنّ أسماء الإشارة تقرب من الضّمائر فیما یرجع إلی عود الذّکر وقیل: لِباسُ التَّقْوی خبر مبتدإ محذوف أی وهو لباس التّقوی، ثمّ قیل: ذٰلِکَ خَیْرٌ وقیل: المراد بلباس التّقوی ما یلبس من الدّروع والمغافر وغیرهما ممّا یتّقی به فی الحرب».

والان نورد نص کلام الزمخشری (۲: ۹۷) لکی یبین أن الطبرسی نقل عنه لکن بصورة موجزة ومع بعض التصرفات.

یقول الزمخشری:«وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَیٰ ولباس الورع والخشیة من الله تعالی، وارتفاعه عن الابتداء وخبره إمّا الجملة التی هی ذٰلِکَ خَیْرٌ کأنه قیل: ولباس التقوی هو خیر، لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فیما یرجع إلی عود الذکر، وأمّا المفرد الذی هو خیر وذلک صفة للمبتدأ، کأنه قیل: ولباس التقوی المشار إلیه خیر. ولا تخلو الإشارة من أن یراد بها تعظیم لباس التقوی، أو أن تکون إشارة إلی اللباس الموارِی للسوأة، لأنّ مواراة السوأة من التقوی، تفضیلاً له علی لباس الزینة. وقیل: لباس التقوی خبر مبتدأ محذوف، أی وهو لباس التقوی، ثم قیل: ذلک خیر. وفی قراءة عبد الله وأبیّ: «ولباس التقوی خیر» وقیل: المراد بلباس التقوی: ما یلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغیرها مما یتقی به فی الحروب.

النتائج

و ننتهی من دراسة هذین التفسیرین الهامین إلی نتائج هی:

١. يتأثر الطبرسى كثيراً ما فى الآراء النحوية والإعرابية بالزمخشرى حتى نراه فى بعض الأحيان يعدل فى إعراب كلمة أو جملة عن رأيه فى مجمع البيان ويتبع رأى الزمخشرى حول تلك الكلمة أو الجملة فى تفسير جوامع الجامع.

٢. يعتبر الكشاف تفسيراً خطابياً ذكرت البحوث فيه بشكل الحوار أما جوامع الجامع فيعتبر من التفاسير المدرسية.

٣. اقتفى الطبرسى أثر الزمخشرى فى تجميع البحوث النحوية واللغوية والبلاغية فى موضع واحد ذيل الآية المبحوث عنها خلاف أسلوبه فى مجمع البيان فى تفريق كل عنوان من العناوين للبحوث المذكورة عن الآخر.

٤. يستفيد الطبرسى فى كثير من الأحيان من تفسيره الكبير «مجمع البيان» وينقل بعض الموضوعات عنه.

٥. ينقل الطبرسى فى مجمع البيان قولين أو أقوال مختلفة حول موضوع لكنه لم ينقده ولم يميز الصحيح عن السقيم بل يفضّل أن يختار الباحث نفسه قولاً أحسن. أما فى جوامع الجامع فى كثير من الأحيان يختار العلامة الطبرسى ما اختاره الزمخشرى.

٦. كان الطبرسى معتدلا فى مذهبه الشيعى ويظهر من تفسيره جوامع الجامع هذا الاعتدال فى مذهبه حول المسائل المختلفة العقائدية والكلامية فلا يلمس عليه تعصب كبير. وهذا الرجل يقف موقفاً وسطاً فى تفسيره. ولكن نرى الزمخشرى معتزلياً متجاهراً بعقيدته، وبنى تفسيره هذا على مذهب الاعتزال.

٧. أورد فى جوامع الجامع كثيراً من النكت البلاغية ولم يكن هذا إلا بسبب تأثير الكشاف فى هذا التفسير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

۱. آقا بزرگ الطهرانی، محمد محسن. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. ج۵. بيروت: دار الأضواء. ۱٤۰۳هـ = ۱۹۸۳م.

۲. آية الله زاده الشيرازی، مرتضی. الزمخشری لغويًا ومفسرًا. تقديم: حسين نصار. القاهرة: دار الثقافة، ۱۹۷۷م.

۳. ابن شهر آشوب، محمد بن علی. معالم العلماء. النجف: المطبعة الحيدرية، ۱۹٦۱م.

٤. ابن الجوزی، عبدالرحمن بن علی. المنتظم فی تاريخ الملوک والامم. حيدرآباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ۱۳۰۰ ق.

۵. ابن منظور، محمد بن مكرّم. لسان العرب. نسقه: علی سيری. ج۹و۱۰. بيروت: دار إحياء التراث العربی، ۱٤۰۸هـ

٦. استادی، رضا. آشنايی با تفاسير: به ضميمة مساله عدم تحريف قرآن و چند بحث قرآنی (=التعرف على تفاسير القرآن مع رسالة حول عدم تحريف القرآن وعدة بحوث قرآنية). قم: مولف،۱۳۸۵هـ.ش.

۷. الأمين، محسن. اعيان الشيعة. ج۲. بيروت: دار التعاريف للمطبوعات، ۱۹۸۳م.

۸. ايازی، محمد علی. المفسرون حياتهم ومنهجهم. طهران: وزارة الثقافة والارشاد اسلامی، موسسة الطباعة والنشر، ۱٤۱٤ق.

۹. بدوی، عبدالرحمن. مذاهب الاسلامين. بيروت: دارالعلم للملايين،۱۹۷۱م.

۱۰. البستانی، بطرس. دائرةالمعارف وهو قاموس عام لكل فن ومطلب. ج ۹. بيروت: دارالمعرفه.د.ت.

۱۱. تنكابنی، محمد بن سليمان.تذكرة العلماء. مشهد: آستان قدس رضوی، بنياد پژوهشهای اسلامی (=الحضرة الرضوية القدسية،مؤسسة البحوث الاسلامية)، ۱۳۷۲هـ.ش.

١٢. الحموی، یاقوت. معجم الأدباء. ط٣. ج١٠. بیروت: دار الفکر، ١٤٠٠هـ

١٣. الحر العاملی، محمد بن حسن، امل الامل.ج٢ بغداد: مکتبه الاندلس، ١٣٨٥ق.

١٤. الداوودی، شمس الدین محمد بن علی بن أحمد. طبقات المفسّرین. بیروت: دار الکتب العلمیة، د.ت.

١٥. الذهبی، محمد حسین. التفسیر والمفسّرون. ط٤. ج١. القاهرة: مکتبة وهبة، ١٤٠٩هـ

١٦. الزرکلی، خیرالدین. الأعلام. ط٣. ج٧. د.م: د.ن، ١٤٨٠هـ

١٧. الزمخشری، محمود بن عمر. الکشاف عن حقائق غوامض التنزیل. ج١ و٢. بیروت: دار الکتاب العربی، ١٣٦٦هـ

١٨. الصاوی الجوینی، مصطفی. منهج الزمخشری فی تفسیر القرآن وبیان إعجازه. مصر: دار المعارف، د.ت.

١٩. الطبرسی، فضل بن حسن. مجمع البیان فی تفسیر القرآن. ط٣. جامع تفاسیر نور. القرص الکمبیوتری. ج٣. طهران: انتشارات ناصر خسرو، ١٣٧٢هـ ش.

٢٠. الطبرسی، الفضل بن حسن. جوامع الجامع. جامع تفاسیر نور. القرص الکمبیوتری. ج١. طهران: انتشارات ناصر خسرو، ١٣٧٢هـ ش.

٢١. کحالة، عمر رضا. معجم المؤلفین. ج١٢. بیروت: دار إحیاء التراث العربی، د.ت.

٢٢. کریمان، حسین. طبرسی ومجمع البیان (الطبرسی ومجمع البیان). ج١. طهران: انتشارات دانشگاه تهران (=منشورات جامعة طهران)، ١٣٦١هـ ش.

٢٣. الغامدی، صالح بن غرم الله. المسائل الاعتزالیة فی تفسیر الکشاف للزمخشری فی ضوء ما ورد فی کتاب الانتصاف. ج١. المملکة السعودیة: دار الاندلس للنشر والتوزیع، د.ت.

٢٤. معرفة، محمد هادی. التفسیر والمفسرون فی ثوبه القشیب. ج٢. مشهد: الجامعة الرضویة للعلوم الإسلامیة. ١٤٢٥ق.

۲۵. الموسوی الخوانساری، محمد باقر. روضات الجنات فی احوال العلماء والسادات.ج۸. طهران: کتابفروشی اسلامیه (= طهران: المکتبة الاسلامیة)،۱۳۵٦ـ ۱۳٦۰هـ ش.

۲٦. مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی. بحارالانوار. طهران: المکتبة الاسلامیة، کتابفروشی ادبیه، ۱۳۰۱هـ.ش.

۲۷. نوری، حسین بن محمدتقی. مستدرک الوسائل. طهران: المکتبة الاسلامیه، ۱۳۱۸ـ ۱۳۲۱ ق.

۲۸. الایروانی، مرتضی. «مذاهب التفسیر واتجاهاتها فی القرن السادس الهجری فی الخراسان» رسالة التقریب ۱۲. (۱۴۱۷ ق) ۱٦ ربیع الثانی ۱٤۳۰ ق.

http://www.seraj.ir/engine/detail.asp?LangStr=f_&id=A43987

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی